هوامش

تمرّ هذه الأيام ذكرى ميلاد الممثل المصري زكي طليمات. يتذكّر المشاهدون الفنان في دور ثانوي له في فيلم «الناصر صلاح الدين»، لكن للرجل مساهمات مهمّة في المسرح، المصري والعربي

وُلد في 29 إبريل من عام 1894 (فيسبوك)

زكي طليمات
أكثر من مجرّد آرثر

القاهرة ـ **محمد كريم**

يعرف الجمهور العربي الفنان زكي طليمات عبر أدوار قليلة باعتباره ممثلاً مساعداً، خاصة دور آرثر في فيلم الناصر صلاح الدين. وقد تحوّلت إحدى عباراته في ذلك الفيلم إلى ثيمة مشهورة: «في ليلة أقل جمالًا من ليلتنا ستأتين زاحفة إلى خيمتي يا فرجينيا». ولكن الحقيقة التاريخية والفنية أن زكي طليمات كان أكثر من مجرد «آرثر»، فقد كان الرجل رائداً للمسرح العربي حين وضع أسسه العلمية في عدد من البلدان العربية، مستفيداً من ثقافته الواسعة وخبرته العريضة بالمسرح وفنون الأداء. إذ كانت رحلته الفنية مؤسسة على مقولته: «تأمل مسرح شعب من الشعوب لتعرف مدى شوط الحضارة الذي قطعه».

مكانته الفنية

يمكن الوقوف على مكانة هذا الفنان الكبير من خلال أصدقائه وتلامذته في الفن؛ فصديقه الموسيقار محمد عبد الوهاب يضعه إلى جوار يوسف وهبي بوصفهما رائدين لفن المسرح العربي، فإذا كان يوسف وهبي أعطى للمسرح الفن، فإن طليمات أعطاه العلم. وكذلك قال شكري سرحان: إن يوسف وهبي وزكي طليمات مجذفان لسفينة المسرح العربي. أما سميحة أيوب فقالت: إنه صاحب مدرسة لن ينكرها أحد ممن تربوا على يديه. علمنا معنى عشق المسرح. بينما ذكرته زهرة العلا فقالت: لولا زكي طليمات، ما كان طريق الفن قد رُصف هكذا وسار فوقه المئات. وقالت فاتن حمامة: إن زكي طليمات جعلنا نرضع الفن في صبانا». وتعترف الفنانة الكويتية سعاد العبد الله بأنه إذا كان في الكويت مسرح، فإن زكي طليمات قد بذر بذوره في أرضها وحضن كل هذه المواهب.

الاسم الغريب

ولد طليمات في 29 إبريل/ نيسان 1894 في حي عابدين بالقاهرة، لأب ذي أصول سورية وأم مصرية من أصول شركسية. وللقب عائلته الغريب «طليمات» أكثر من سياق في رحلته مع الفن، فقد صوّبه يوسف وهبي وذكر أن أصله «تليمات» بالتاء. وفي لقائه الأول مع روز اليوسف، التي تزوجها في ما بعد، سألته بفكاهة: طيب اسم «زكي» مفهوم، أمال سي «طليمات» دا يبقى إيه؟ فأجابها: يبقى اسم مش فزورة!

التحق بمعهد التربية بعدما حصل على البكالوريا من الخديوية الثانوية، ثم رحل إلى باريس ضمن بعثة لدراسة فن التمثيل، عاد منها حاملا دبلوما في الإلقاء والأداء وشهادة في الإخراج. وبعد عودته، عمل مراقبا للمسرح المدرسي من 1937 إلى 1952، ثم مديرا للمسرح القومي من 1942 إلى 1952، ثم مؤسسا وعميدا لمعهد التمثيل، كما عمل مديرا عاما للمسرح المصري الحديث.

تأثر كثيراً بجورج أبيض (1880-1959)، وكان مما قال عنه في أحد حواراته الصحافية: «أعترف بأنني حين اقتربت من جورج أبيض كنت أحوم حوله كفراشة مجنونة بضوء مصباح. وقد لاحظت وسجلت رأيي في أداء جورج أبيض العظيم. لاحظت مثلا أن همّه الأول هو مراعاة قواعد النحو والصرف. وذلك في إلقاء كلام دوره، وليس في تعميق انفعالاته وتصيد شواردها. كان يقول لنا [أنا أنام لأفكر في الشخصية]، وهذا معناه أنه مسكون بالفن. جورج أبيض من العلامات التي قابلتني في أول الطريق وتأثرت بها، وفهمت أعماقها الفنية عندما كبرت».

يمكن أن نلمح تأثره بجورج أبيض في استغراقه الفني وأيضاً في عنايته البالغة باللغة العربية، فقد كان كاتباً وناقداً ومترجماً إضافة إلى كونه مخرجاً وممثلاً وأكاديمياً. ومن أقواله: «بصفتي رجلاً تذوقت العربية وتعرفت إلى حسناتها، أقول إنه يجب أن يكون التمثيل باللغة الفصحى، وأقصد بالفصحى اللغة العربية الحلوة الخالية من بهرجة اللفظ وتعقد الأسلوب».

جمعية الحمير

ومن طرائف معاناة زكي طليمات من أجل الفن والثقافة، أن الاحتلال البريطاني نبه الملك فؤاد إلى أن معهد الفنون المسرحية الذي أنشأه زكي طليمات سوف يجر مشكلات كبيرة على النظام الحاكم، لأن المسرح الذي سيقدمه سوف يناقش قضايا مثل الفساد والاستبداد، وقد استجاب الملك وأصدر قراره بإغلاق المسرح. وفي مقابل غضب طليمات، دعاه أحد أصدقائه إلى أن يكون صبوراً مثل «الحمار»، وهو ما أوحى له سنة 1930 بإنشاء جمعية «الحمير»، بقصد السخرية من واقع المثقفين أمام السلطة الفاسدة. وكان من بين الأعضاء المؤسسين لجمعية الحمير محمود العقاد، وطه حسين، وتوفيق الحكيم، والسيد بدير، وأحمد رجب، ومصطفي حسين، ونادية لطفي!

تونس والكويت

في سنة 1954 دعي طليمات إلى دولة تونس لتطوير مسرحها، حيث عين مشرفًا فنيًا على فرقة البلدية في تونس من 1954 إلى 1957. يقول عن تلك الفترة: «أعتز بهذه التجربة كل الاعتزاز، إن المسرح العربي كان حلمي دائماً. نعم لم يكن في قلبي أي مشاعر إقليمية. ربما ملأني هذا الشعور وأنا أطير إلى تونس لكي أدرّس ظروف مسرحها، وأحاول أن أنهض به، ذلك كان مرادي».

وفي سنة 1961 دعي إلى دولة الكويت، حيث عين بها مشرفاً فنياً على المسرح العربي، فكان يرى أن الخليج العربي يضم مواهب فنية عظيمة بالرغم من المشاكل التي تجاوزها والتي تتمثل في نظرة المجتمع الخليجي آنذاك للفن. يقول الدكتور محمد حسن عبد الله: «صار زكي طليمات جزءا من تاريخ الحركة المسرحية في الكويت، لا لمجرد أنه أنشأ فرقة وشارك في التمثيل وأشرف على الإخراج، واستنبت من بين الكويتيين فريقاً ناجحاً من الممثلين والفنيين فحسب، وإنما لأنه شاهد مولد المسرح الفصيح من جانب وشهد ردود الفعل الاجتماعية المؤيدة والمناوئة، وتلقاها بمرونة واضحة حتى تم التغيير، ولأنه أخيراً رئيس أول معهد للدراسات المسرحية في الكويت».

تراث كبير

وقد أثرى طليمات المكتبة العربية بالعديد من المؤلفات؛ مثل: فن الممثل، التمثيل فن الفنون، التمثيل العربي، وقفات وتأملات، ذكريات ووجوه، موسوعة المسرح العربي. كما أشار الدكتور سيد علي إسماعيل إلى أن له مذكرات صوتية محفوظة لم يتم تفريغها وتحريرها بعد. كذلك ترجم مجموعة من المسرحيات عن الفرنسية، مثل «الجلف» لتشيكوف، «الوطن» لسارود، «المعركة» لفروندي، الحادثة» لهنري دوفيرنوا، وعشرات المقالات المنشورة في الصحف والمجلات الأدبية الكبرى: الرسالة والثقافة والهلال والمجلة وغيرها. وكان الناقد فؤاد دوارة قد نشر مقالاً سنة 1966 في «المجلة» بعنوان (ما لا يستطيعه غير زكي طليمات)، يطالبه فيه بأن يتفرغ لكتابة تاريخ تفصيلي للمسرح العربي. قال فيه: «لم أجد بين رجال مسرحنا المعاصر من يستطيع تحقيق هذه الأمنية مثل زكي طليمات، فهو الرجل الذي عاش أول فترة من تاريخ مسرحنا بالطول وبالعرض وبالعمق، وكان له أضخم الأثر في تنميته وتطويره، وتزويده بالخطط والقيم والمشروعات... فمن غيره إذن يستطيع أن يؤلف لنا مثل هذا الكتاب؟!».

باختصار

أثرى طليمات المكتبة العربية بالعديد من المؤلفات، مثل: فن الممثل، التمثيل فن الفنون، التمثيل العربي، وقفات وتأملات

■■■

في سنة 1954 دعي طليمات إلى دولة تونس لتطوير مسرحها، حيث عين مشرفاً فنياً على فرقة البلدية في تونس من 1954 إلى 1957

■■■

كانت رحلته الفنية مؤسّسةً على مقولته الشهيرة: تأمل مسرح شعب من الشعوب لتعرف مدى شوط الحضارة الذي قطعه

وأخيراً

نقشبنديات بليغ حمدي

معن البياري

لعلّها نوباتُ حنينٍ متوطّنة فينا، نحن المخضرمين ممن أدركوا بعض سبعينيات القرن الماضي، ومن سبقونا، تجعلنا نستعيد أجواء رمضان العتيقة بانجذابٍ خاص، فتلقانا أقلّ تعلّقا بالمستحدث والراهن منها. تُراها البساطةُ الضافية إبّانها، والسماحة التي كانت وفيرةً في الناس، والبهجة التي كان في الوسع أن تُحرزها بيسر، هي الأسباب؟ لا أعرف. ما أعرفه أن أذكارا وأدعيةً وتواشيحَ وابتهالاتٍ وأناشيدَ دينية، لمّا كنتَ تسمعها في التلفزيون، قبيل أذان الإفطار وبعده، وأحيانا عند السحور، مرفقةً بصور مآذن ومساجد وجموع من المؤمنين الخاشعين والمتبتلين، بالأبيض والأسود، ثم بالألوان، كانت تشيع في الأرواح والأنفس والأبدان صفاءً مُضافا، ووداعةً وهناءة بالٍ غزيرتيْن. من هناك، من تلك الغضون النائية، يأتي إلى هنا، إلى حيث الحنين يقيم، صوت شيخ منشد، فيه موسيقاه باهظة العذوبة، اسم صاحبه الشّيخ سيد النقشبندي. واحد من جيل مضى من مشايخ الإنشاد والمبتهلين في مصر، ثم لم تعرف مصر، ولا أي بلد عربي (فيما أرجّح)، مثله. على أن مؤسساتٍ أهليةً وحكوميةً، في غير بلد عربي، تقوم على رعاية مواهب وقدرات شبابٍ وفتيةٍ لديهم ملكاتٌ واعدةٌ في فن الإنشاد، فيما فائض الركاكة في كثير من الميديا العربية لا يجعلها لا تكترث لأمرٍ كهذا. وكان رائقا من تلفزيون «العربي» إنتاجه برنامج «مقامات»، وتقديمه في رمضان 2019، وقد استمعنا فيه إلى إبداعاتٍ متفرّدةٍ في هذا الفن، من المغرب وسورية ولبنان ومصر و... . وعندما أقرأ لمن كتب، عن دراية، أن ثمّة مواهب عربيةً كثيرةً في هذا، وأصواتُها متميزة، وتجيد أداء الأناشيد الدينية والتواشيح والابتهالات القديمة بإتقان، غير أن التراجع الموسيقي العام سبب تراجع فن الإنشاد الديني، عندما أقرأ هذا أرى قدّامي ملك الموسيقي بليغ حمدي.

مشهورةٌ، أو ذائعةٌ ومعروفة، قصة تلحين بليغ للنقشبندي، بطلب من أنور السادات الذي كان «سمّيعا» لاثنيهما، وكان على صلةٍ خاصةٍ بهما. ذلك العام، 1972، ابتهج الموسيقار بالطلب، وامتعض منه الشيخ، فكيف له أن «يغنّي»، بل ألحانا لصاحب «الحب كله» (!)، على ما أبلغ الإذاعي وجدي الحكيم متبرّما، غير أن هذا الحصيف طلب منه أن يسمع أولا ما أعدّه الموسيقار، في خلوةٍ بينهما في الإذاعة المصرية، وإذا لم يرُق له ما سيسمع، يسكت عن هذا، ولا يخلع الجبة، علامةً يعرف الحكيم بها عدم الرضى، ليتصرّف الإذاعي، فيخبر الرئيس بأن الأمور لم تمض كما شاء. ولكن الشيخ أدّى علامة الرضا والارتياح، بل والإنبساط فخلع الجبّة، لمّا وجد في النصوص التي جاء بها بليغ حمدي من الشاعر عبد الفتاح مصطفى، وفي الألحان التي أنجزها، عملا بديعا. ثم لمّا سجل الابتهالات الستة، ومنها التحفة «مولاي .. إني ببابك قد بسطت يدي»، وبعدها سبعة أخريات، قال «بليغ عفريت من الجن» و«لولاه لا يتذكّرني أحدٌ بعد رحيلي». وقد غادر إلى دار البقاء، رحمه الله، عن 56 عاما في 1976، مشيَّعا بما استحقّ من أوصاف، «قيثارة السماء» و«كروان الإنشاد الديني» و«إمام المدّاحين» و«أيقونة رمضان». قبل روائعه مع بليغ، كان في ظن شيخنا، حافظ القرآن الكريم، المنتسب إلى طريقة صوفية شهيرة، أن اللحن الموسيقي قد يُفسد حالة الخشوع التي تُرافق الابتهال والتوشيح. وكان يؤدّي الابتهالات مكتفيا بصوته العريض بالغ السعة، حيث أمكن له أن يصنع تنغيماتِه وإيقاعاته من دون موسيقى، ومنفردا من دون كورال، (قال حفيد له إن محمد الموجي وسيد مكاوي وغيرهما لحّنوا له، ولا دليل على هذا، وأشكّ فيه). ولمّا قال له بليغ إنه سيصنع له لحنا سيعيش مائة عام، كان يدرك الطاقة الهائلة في صوت هذا الشيخ، ولهذا ترك له أن يتصرّف قليلا في الألحان والأداء، فالطبقات الموسيقية في هذا الصوت متعدّدة. ومع مقام البياتي الذي اختاره صاحب لحن «فات الميعاد»، سيما في «مولاي ..»، ومع أرضيةٍ صوتيةٍ لكورال يصاحب صوت الشيخ فسيح المدى، جاءت «نقشبنديات» بليغ حمدي غايةً في الرقي، جميلة في الوجدان، اجتمع فيها بديع الكلام مع موسيقى آخت بين الطربي والروحاني مع صوتٍ مُهابٍ لا يغني فقط، وإنما يبثّ أيضا نفحاتٍ من غبطة المؤمن بإيمانه، فتستظل الروح بسكينة رهيفة.

كانت «نقشبنديات» بليغ حمدي من تقاسيم بهجة رمضان، سقا الله.

> «نقشبنديات» بليغ حمدي غايةً في الرقي، اجتمع فيها بديع الكلام مع موسيقى آخت بين الطربي والروحاني

سعر النسخة: مصر **جنيهان**، تونس **900 مليم**، لبنان **1000 ليرة**، قطر **3 ريالات**، السعودية **3 ريالات**، الكويت **200 فلس**، الإمارات **3 دراهم**، عمان **300 بيزة**، البحرين **300 فلس**، الأردن **400 فلس**، العراق **500 دينار**، المغرب **4 دراهم**، الجزائر **ديناران**، اليمن **50 ريالا**، سورية **25 ليرة**، السودان **10 جنيهات**، ليبيا **200 درهم**، موريتانيا **35 أوقية** ◻ UK **£ 1,20**, Austria **€ 2,20**, Belgium **€ 2,20**, France **€ 2,20**, Germany **€ 2,30**, Holland **€ 2,30**, Italy **€ 2,10**, Spain **€ 2,20**, Switzerland **CHF 3,50**
Turkey **TL 5,00**, USA **$ 2,00**